

سلسلة الدروس الرمضانية

الدرس التاسع: رمضان شهر الكرم والجود

يمتاز شهر رمضان، أنه شهر المواساة والتراحم والجود والكرم والتكافل بين المسلمين، حيث حث الإسلام على الصدقة في هذا الشهر توثيقاً لرابطة المسلمين بعضهم مع بعض، وسداً لحاجة الفقراء والمساكين. فعن زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ عَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا " (أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح).

فقوله صلى الله عليه وسلم "من فطر صائماً" أي أطعمه وسقاه عند إفطاره، وهذا فيه دعوة إلى الجود والكرم والمواساة. ولهذا السبب نفسه " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ " (رواه البخاري). قال ابن رجب - رحمه الله تعالى - : "وكان جوده - صلى الله عليه وسلم - كله لله - عز وجل - وفي ابتغاء مرضاته؛ فإنه كان يبذل المال إما لفقير أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه... وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطي عطاءً يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يُوقَدُ في بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع. وكان قد أتاه - صلى الله عليه وسلم - سبي مرة فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت، وطلبت منه خادماً يكفيها مؤنة بيتها، فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها وقال: " لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع". [جزء من حديث أخرجه أحمد والبخاري].

ومن فرط جوده وكرمه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يرد سائلاً؛ مع شدة حاجته صلى الله عليه وسلم؛ ومع ذلك يؤثر غيره على نفسه؛ ! فعن سهل رضي الله عنه ، " أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا ، أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ ؟ ، قَالُوا : الشَّمْلَةُ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَحِجْتُ لِأَكْسُوَكَهَا ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِثْمًا إِزَارُهُ فَحَسَنَهَا فُلَانٌ ، فَقَالَ : أَكْسِنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا ؟ ، قَالَ : الْقَوْمُ مَا أَحْسَنَتْ لِبِسَتِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يُرَدُّ ، قَالَ : إِيَّيْ وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهُ إِثْمًا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفِيَّي ؟ " ، قَالَ سَهْلٌ : فَكَانَتْ كَفْنَهُ . " (البخاري).

إن جود وكرم النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان ليدل دلالة واضحة على فضل وعظم الإنفاق والصدقات في شهر رمضان؛ ويظهر ذلك جلياً في تمني الميت الرجوع للدينا مرة أخرى للتصدق؛ لما يرى من عظيم ثواب وأجر الصدقة والكرم والجود؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (المنافقون:10) فهنا قال الميت: (فَأَصَّدَّقَ) ولم يقل لأعتمر أو لأصلي أو لأصوم!! قال أهل العلم: ما ذكر الميت الصدقة إلا لعظيم ما رأى من أثرها بعد موته".

فالْمُؤْمِنُ الْكَيْسُ الْفَطْنُ هُوَ الَّذِي يَدْخُرُ صَدَقَتَهُ لِتَنْفَعَهُ فِي آخِرِهِ ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَقُولُ الْعَبْدُ مَالِي مَالِي!! وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثُ: مَا أَكَلَ فَأَقْنَى؛ أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى؛ أَوْ أُعْطِيَ فَأَقْتَنَى؛ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ " (مسلم).

وَعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهُمْ دَبَّحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَيْفُهَا. قَالَ: "بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَيْفُهَا" (الترمذي).

فأكثرنا من الصدقة فإن المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته؛ وتصدقوا عن موتاكم فإن موتاكم يتمنون الرجوع للدنيا ليتصدقوا ويعملوا صالحاً فحققوا لهم أمنيتهم وعودوا أبناءكم على ذلك؛ تصدقوا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان.. إن الله يجزي المتصدقين؛ ولو علم المتصدق حق العلم وتصور أن صدقته تقع في (يد الله) قبل يد الفقير ، لكانت لذة المعطي .. أكبر من لذة الآخذ !..

إن من معاني الصيام العظيمة: إحساس الأغنياء بحاجة إخوانهم الفقراء فيسندوا حاجتهم، ويجودوا عليهم، سئل أحد السلف: "لم شرع الصيام"؟ قال: "ليذوق الغني طعم الجوع؛ فلا ينسى الجائع". لذا كان كثير من السلف يواسون من إقطاعهم، أو يؤثرون به ويجوعون. وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين فإذا منعهم أهله عنه لم يتعش تلك الليلة؛ وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام، وقام فأعطاه السائل، فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة؛ فيصبح صائماً ولم يأكل شيئاً.

واشتهى أحد الصالحين من السلف طعاماً، وكان صائماً، فوضع بين يديه عند فطوره فسمع سائلاً يقول: "من يقرض الملي الوفي الغني"؟ فقال: "عبد المعدم من الحسنات". فقام فأخذ الصحيفة فخرج بها إليه وبات طاوياً! وجاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين، كان يُعدهما لفطره، ثم طوى وأصبح صائماً.

فله دُرُّ تلك النفوس ما أجودها وما أكرمها وما أسخاها! وما أشد إثارها! وما أعظم رغبتها فيما عند مولاه! قال الشافعي - رحمه الله تعالى - : "أحبُّ للرجل الزيادة بالجوّد في شهر رمضان اقتداءً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثيرٍ منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم" ["لطائف المعارف"].

فأين الأغنياء والموسرون؟! شهر الجود دونكم فجدودوا جاد الله عليكم؛ { وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا } [المزمل: 20] .

وإليك أخي الصائم عدة نصائح وفوائد في الكرم والجود والصدقات ؛ تنفعك في دنياك وأخراك:

النصيحة الأولى: أسرعوا بالصدقات فهي وقاية من النار:

فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَانٌ؛ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَمٌ؛ فَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَمٌ؛ فَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ؛ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ. " (متفق عليه). قال ابن حجر: " فيه الحث على الصدقة ؛ وفيه دليل على قبول الصدقة ولو قلت ، وقد قيدت في الحديث بالكسب الطيب ؛ وفيه دليل على قرب النار من أهل الموقف. " (فتح الباري).

النصيحة الثانية : أن الصدقة لا تنقص المال:

كثير من الناس يظن أن الصدقة تنقص المال؛ وهذا نبيكم صلى الله عليه وسلم لا يقسم على شيء فهو صادق مصدق؛ ومع ذلك جاء عند هذا الحديث فأقسم تأكيداً ؛ فعن أبي كبشة الأنماري أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاخْفَظُوهُ. فَأَمَّا الَّذِي أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: فَإِنَّهُ مَا نَقَصَ مَالٌ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ وَلَا ظَلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ. " (أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح). قال النووي رحمه الله في شرح قوله صلى الله عليه وسلم: «ما نقصت صدقة من مال» : " ذكروا فيه وجهين: أحدهما: معناه أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات،

فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية، و هذا مدرك بالحسّ والعادة، والثاني: أنه وإن نقصت صورته، كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه، وزيادة إلى أضعاف كثيرة."

النصيحة الثالثة: أن الصدقة مطهرة لمالك:

فهي تخلصه من الدّخن الذي يصيبه من جراء اللغو، والحلف، والكذب، والغفلة فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي التجار بقوله: " يا معشر التجار، إن هذا البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة ". [أحمد والنسائي وابن ماجه].

النصيحة الرابعة: أن الصدقة شفاء من الأمراض العضوية:

فمن تصدق بنية الشفاء شفاه الله من مرضه بإذن الله؛ فعن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " داووا مرضاكم بالصدقة ". (أبو داود في المراسيل والطبراني والبيهقي).

يقول ابن شقيق: سمعت ابن المبارك وسأله رجل: عن قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقد عالجها بأنواع العلاج، وسأل الأطباء فلم ينتفع به، فقال: اذهب فأحفر بئراً في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن ينبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ. فإذا أصابك مرض أو أحد من أهل بيتك فتصدق بنية الشفاء وستشفى بإذن الله تعالى .

النصيحة الخامسة: أن الصدقة تطفى الخطايا والذنوب والمعاصي:

فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ". (أحمد والطبراني والترمذي وصححه). وقوله: " والصدقة تطفىء الخطيئة ؛ من الإطفاء أي تذهبها وتمحو أثرها؛ أي: إذا كانت متعلقة بحق الله تعالى. وإذا كانت من حقوق العباد فتدفع تلك الحسنة إلى خصمه عوضاً عن مظلمته. " (تحفة الأحوذى).

النصيحة السادسة: لا تستحقر صدقتك مهما قلت :

فسارعوا إلى فعل الخيرات والصدقات في شهر البر والخيرات؛ ولا يستحقر أحدكم ما ينفقه حتى لو كان درهما (جنيها واحدا) فرب درهم سبق مائة ألف درهم.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " سبق دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَقَالَ رَجُلٌ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: رَجُلٌ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ أَخَذَ مِنْ عَرْضِهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ تَصَدَّقَ بِهَا؛ وَرَجُلٌ لَيْسَ لَهُ إِلَّا دِرْهَمَانِ فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ. " (النسائي وابن حبان والحاكم وصححه)؛ .

قال الياضي: " فإذا أخرج رجل من ماله مائة ألف وتصدق بها وأخرج آخر درهما واحدا من درهمن لا يملك غيرها طيبة بما نفسه صار صاحب الدرهم الواحد أفضل من صاحب مائة ألف درهم . وقال في المطامح : فيه دليل على أن الصدقة من القليل أنفع وأفضل منها من الكثير : { ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة } ؛ والدرجات تتباين بحسب تباين المقاصد والأحوال والأعمال ". (فيض القدير للمناوي).

فبادر - أيها الحبيب - إلى الصدقات والخيرات في شهر الرحمت؛ وسارع إلى الصالحات ، تنل البركات؛ وتستجاب منك الدعوات؛ وتفرج لك الكربات؛ وتنل المرضات من رب البريات؛ وتزود بالطاعة لتفرح بلقاء رب الأرض والسماوات !!!

كتبه : خادم الدعوة الإسلامية

د / خالد بدير بدوي